خطبة السيدة زينب الكبرى (عليها السلام) في مجلس يزيد (لع)

مقاربة تداولية في ضوء نظرية الافعال الكلامية

م.د. مجيد عبد الزهرة علوان

مدرس على ملاك وزارة التربية

الكلية التربوية المفتوحة

Majidabd708@gmail.com

المُلخّصُ:

يّهدف هذا البحثُ الى عرض مُقاربة الإفعالِ الكلاميّةِ العامّةِ لـ "أوْستن" وَبعضِ مُقترحاتِ "سيَرل" في الأعمالِ التّداوُليّةِ لِلفِعلِ الكلاميّ الّذي هوَ عِبارةٌ عن ملفوظٍ يَنهضُ على نِظامٍ شكليٍّ دلاليٍّ إنجازيٍّ تأثيري، والّذي يُعدُّ نشاطًا لُغويًّا يَتوَسّلُ بِأفعالٍ قوْليّةٍ تحقُّقُ أغراضٍ إنجازيّةٍ (كالطّلب، والإمر، والوعد، والوَعيد) وَغاياتٍ تأثيريّة تخُصُّ رُدود فِعلِ الباثِّ (كالرّفض، والقبول).إذ يُجيبُ البحث عنِ الاشكاليّةِ الآتيَةِ: ما نوْعُ العلاقةِ المعرِفيّةِ الّتي بيْن ما جاءت بِهِ السّيّدُ زيْنب الكُبرى (عليْها السّلام) في عِلمِ البيان وَبلاغتِها وَفصاحتِها وَمعرِفتِها في أُصولِ وَقواعِدِ اللُّغةِ بِشكلٍ عام وَقوّتِها وَتمكُّنِها مِنها. وَبيْن ما أتى بِهِ "أوَستن". إذ تمّ بيان القوّة الإنجازيّة.

الكلِماتُ المِفتاحيّةِ: (أفعال الكلام– التأكيدات– التوجيهات– الوعديات– التعبيرات– والاعلانات).

The Sermon of Sayyid Zainab the Eldest (peace be upon her) in the Council of Yazid

A pragmatic approach in light of the theory of speech acts

Dr. Majeed Abdel Zahra Alwan

A teacher on the staff of the Ministry of Education

Open Educational College

Majidabd708@gmail.com

Abstract :

This research aims to present the general verbal verb approach of "Austen" and some of "Searle's" proposals in the pragmatic actions of the verbal verb, which is a verbal based on a formal-semantic-per formative-influential system. Which is a linguistic activity that mediates with verbal verbs that achieve fulfilling purposes (such as request, order, promise, and threat) and affective goals related to the reactions of the researcher (such as rejection and acceptance). The research answers the following problem: What is the type of epistemological relationship between what al-Sayyid Zainab al-Kubra (peace be upon her) brought about the science of rhetoric, her rhetoric, her eloquence, and her knowledge of the origins and rules of language in general and its strength? And they managed it. And between what Austin came up with. As the performance force was shown.

key words: (Speech Act Theory- Assertifs- Directifs- Promissifs- Expressifs- Déclarations).

التّداوُليّةُ في خُطبةِ السّيّدِ الكبرى(عليها السلام):

الإشاراتُ والتّصوُّراتُ الّتي درّسها بعضُ عُلماءِ اللُّغةِ والفلاسِفةِ العربُ والّتي تبيّنُ بِوُضوحِ التّصوُّرِ العربيّ لِلُّغةِ كنشاطٍ تتحكّمُ فيهِ مجموعة مِن العناصِرِ اللُّغويّةِ وَغيْرِ اللُّغويّةِ والّتي تقتربُ بِوُضوحٍ مِن التّصوُّرِ الأوروبّيّ الحديثِ لِلغةِ بِاعتِبارِها نشاطًا تداوُليًّا Pragmatique وَهذا ما سنُبيّنُهُ بِاختِصارٍ في أحدِ أركانِ هذِهِ المُساهمةِ.

وَيَعودُ الإستِعمالُ الحديث لِمُصطلحِ التّداوُليّةِ الى كُلٍّ مِن الفيْلسوفِ تشارلتُز موريس(Moris ch)، وَهيَ تمثّلُ عِندهُ جُزءٌ مِن نظريّةِ العلامةِ الّتي تتكوّنُ مِن ثلاثةِ أجزاء: التّركيبُ، الدّلالةُ وَ التّداوْليّةِ. والفيْلسوفُ رودولف كارناب Carnab الّذي حدّد اِهتِمام التّداوْليّةِ في الإعتِقادِ والقصدِ والملفوظِ، داخِل إطارٍ علاقةٍ منطِقيّةٍ تجمعُ بيْن هذِهِ العناصر[١].

واعتبر تحديدُ شارِلٍ موريس Charles Morris أوّل مُحاوَلةٍ لِضبطِ ماهيّةِ التّداوُليّة، وَقد حصرها ضِمن مجالِ السّيمائيّةِ وَأسند إليْها دِراسة العلاقةِ بيْن العلاماتِ وَمُستعمِلي هذِهِ العلاماتِ وَذلِك بعدما بيّن أنّ تفاعُل العلاماتِ فيما بيْنها يُشكِلُ ما نُسمّيهِ عِلم التّراكيب، وَ تفاعُل العلامة بِما تل عليْهِ يُفضي الِى عِلم الدلالة. وامّا التّداوُليّة فتقومُ على البحثِ في الأثر غيْرِ اللُّغوي للسياق الخارِجي في تعيين المعاني وفق رأيت الباث (المتكلّم) لا من وَجِهة نظرِ السّامِعِ وَحده، بل تبحثُ في كيْفيّةِ اِكتِشافِ مقاصِدِ المُتكلم، على سبيلِ المِثال:(الجوُّ شديدُ البُرودة) قوْل لا يَقصُرُ مرماهُ على بُرودةِ الطّقسِ وَلكِنّهُ يَعني ضرورة اغلاقِ النّافِذةِ والواقِع انّنا لوْ نظرنا في الكلِماتِ: (جوْ، شُدّ،

البُرُودَة) وَتُذكّرنا معانيَها المعجميّة وَوازِنًا ذلِك بـ(اغلِقوا النّافِذة) لوَجدنا ان العلاقة بيْن المعنيَيْنِ لا تتِمُّ من تطابُقُ بيْن قوْلِ المُتكلّمِ وَما يَعنيهِ وَبيْن ما يَسمعُهُ السّامِعِ وَيَفهمُ مِنهُ شيْئًا آخر[٢].

وَتقومُ النّظريّةُ التّداوُليّة لِلنّصّ على مفهومِ مقامِ الخِطابِ، لِهذا كانتِ البلاغةُ العربيّةُ تختارُ كنُقطةِ اِنطِلاقٍ لها هُنا مقام الخطابِ، حيْثُ كان الخطيبُ يَقِفُ في الموْقِفِ المُخصّصِ له، وَيَسعى إلى كسبِ انتِباهِ المُستمِعين مُراعيًا بِذلِك أقدارهُم وَحالاتِهِم حسب تعبيرِ الجاحِظِ، وَهذا ما نلمسُهُ بِدِقّةٍ في خُطبتها والّتي كانت ذو فِكرٍ بلاغيٍّ فقد راعتِ العناصِر التّداوْليّة وَعمليّة التّواصُلِ.

وَهيَ ليْست تخصُّصًا مُنغلِقًا على ذاته، بل اقتحمت العديد مِن الموْضوعاتِ الّتي كانت تُصنّفُ ضِمن موْضوعاتِ الفلسفةِ التّقليديّةِ مِثل، الاِقتِضاءِ والاِستِلزامِ الحواريّ والأفعالِ اللُّغويّة، الى جانِبِ ذلِك تخوضُ التّداوُليّة اليَوْم في بعضِ الموْضوعاتِ الّتي ما زالت تشغلُ بال الفلاسِفةِ والمناطِقةِ، كمسألةِ الفرقِ بيْن الألسِنةِ الطّبيعيّةِ واللُّغاتِ الاِصطِناعيّةِ المنطِقيّة، وَكذا الفرقُ بيْن الاِستِدلالِ المُطبقِ في الألسِنةِ الطّبيعيّةِ، والبرهنةِ المنطِقيّةِ المُطبقةِ في مجالِ المنطِقِ والرّياضيّاتِ مِثلا، إضافةً إلى الاِهتِمامِ بِموْضوعِ الحجّاجِ الّذي يُشكّلُ أحد موْضوعاتِها الرّئيسة.

وَعلى ذلِك برز اتّجاه نظريّة افعال الكلامِ على يَدِ الانكِليزيّ جونٌ اوَستن سنةٍ ١٩٦٢ بِفِعلِ السّأمِ مِن البحثِ الفلسفيّ الميْتافيزيقيّ وَبُروزِ تِلك الفلسفةِ الّتي مِن مهامِها دِراسةُ اللُّغةِ لِلتّواصُلِ الِى الحقائِقُ اوْ المعانيَ فطرح أوْستنّ في مُحاضراتِهِ الّتي وَصلت الى اثنتي عشرة محاضرة طبعت بعد وفاته على شكل كتاب وترجم الى اللغة العربية بعنوان كيف ننجز الاشياء بالكلمات وقد ميز بين

الجمل الوصفية التي تحتمل الصدق والكذب والجمل الانشائية التي لا تحتمل الصدق والكذب وانما تحتمل النجاح والفشل[٣]، وعلى وفق شروط اقرها تتعلق بالقصد، والمقام وان لم يراع المقام، يكون قطع الاعتبار اخذ به المتكلِم والسامع الى الشطط في صلاحية الاستعمال[٤]. وتعتبر هذه النظرية من اهم المفاهيم في الدرس اللساني المعرفي والتواصلي، وهي جزء منها وخاصة في مرحلتيها الاساسيتين مرحلة تأسيسها لدى (اوستن) ومرحلة النضج والضبط المنهجي عند تلميذه (سيرل) وكلاهما من فلسفة اكسفورد[٥].

إذًا مُفادُ هذِهِ النّظريّةِ: عِندما نقولُ شيْئًا فإنّنا في الحقيقةِ نقومُ بِفِعلٍ ما، أوْ أنّ أقوالنا ما هيَ إلّا أفعالٌ كلاميّة، والمردُّ بِها الإِنجازُ الّذي يَقومُ بِهِ المُتكلّمُ بِمُرادِ تلفُّظِهِ بِملفوظِ ما.

المرحلةُ الأوْلى: وَقد فصل "أوْستن" بيْن نوْعيْنِ منها [٦]:

❖ أقوالٌ وَصفيّةُ أوِ المنطوقُ التّقريري: تقابِلُ الإِساليبِ الخبريّةِ: تصِفُ العالِمِ الخارِجي، وَتكونُ إمّا صادِقة وَإمّا كاذِبة وَقد سمّاها افعال وَصفيّة؛ لأنّهُ ليْس كُلّ ما يُقالُ: الصِّدقُ والكذِبُ وصفا إذ إنّها تصِفُ أشياء تسبِقُ التّلفُّظُ، وَ مِثالُ ذلك: الشخص، والمكان، والجدار، فهيَ موْجودةٌ قبل أن تلفظ بوصفها.

❖ أقولُ إنجازيّة، أوِ المنطوقِ الأدائي: تُقابِلُ الإِساليب الإنشائيّة، إذ إنّها لاتّصف ولاتُّنجِز، وَلا تكون بموضع الصدق والكذب؛ بل تكونُ موافِقةً؛ إذا راعى الباث شُروطها وَكان اهلًا لفعلها

وَغيْر موافِقةٍ إذا لم يُراعِ الباث شُروطها، وَيَدخُلُ في هذِهِ الإفعالِ التسمية والوَصيّةُ، والإعتِذار، والرهان والنّصح، والوَعيد، وَهلُمّ جرا.

المرحلةِ الثّاني: وَبعد ذلِك طور أوَستنُ الأُسُس المنهجيّة لِهذِهِ النّظريّةِ إذ ارسى قواعِدُها وَطوْرُها. وَتُنهضُ أفكارُهُ على المبادِئ الآتيَةِ [٧]:

١. **الفِعلُ اللّفظي:** الصّوْتُ الّذي يَخرُجُ مِن مُتكلمِ. أيْ: التّلفُّظُ بِجُملةٍ سليمةٍ نحويا. بِالأحرى المُحافظةُ على المُستوَياتِ الصّوْتيّة، والنّحويّة، والمُعجميّة.

٢. **الفِعلُ الإنجازيُّ أوْ الفِعلُ المُتضمّنُ في القوْل:** القصدُ مِن القول هوَ الوَحدةُ الصُّغرى لِلإتّصالِ اللُّغويّ ولقوتها، دليلًا يُوضح هيأة الفِعلِ المنجز الّذي يظهره المُتكلّمُ حين نُطقِهِ الجملة، كالنّبرِ والتّنغيمِ وَصيَغِ الفِعلِ. وَما مُرادُ المُتكلِّمِ مِن اعتذار، أوْ تحذيرِ، أوْ تأكيدِ، أوْ إنكارِ، وَهلُمّ جرا...

٣. **الفِعلِ التّأثيري:** فِعلٌ كلاميٌّ لا ينحصر بمُرادِ المُتكلّمِ يتعدى الى العُرفِ المختص باللغة والمجتمع. أيْ: الاثرُ المُترتّبِ على الفِعلِ الإنجازيّ وَهوَ يَخُصُّ المُتلقّي.

- **الفِعلُ اللّفظي:** الجُملةُ سليمة نحويا.
- **الفِعلِ الانجازي:** تستعينُ السّيّدةُ بِالإستِفهامِ التّوْبيخي. في قوْلِها: ((أمِن العدلُ يا بن الطُّلقاءِ؟!)).

- **الفِعلُ التّأثيري:** استِثارةُ الخوْفِ والغضبِ لدى يَزيد (لع). فقد أُمِر بِردِّ السّبايا الِى حُجورهُم؛ خوْفًا مِن اشتِعالِ الشّارِعِ غضبًا عليْهِ. ثُمّ طوّر شُروط المُلاءمةِ الّتي تحدث عنها أوْستن وَجعلها أربعة شُروطٍ وَطبّقها على الفِعلِ الِإنجازيّ تطبيقًا مُحكمًا وَهذِهِ الشُّروطُ هيَ:

أ- **شِروطُ المُحتوَى القضويْ:** إذ عبره يَكون للحديث معنى قضوي، والقضويّ نِسبة الى القضيّةِ الّتي تنهض على مُتحدِّثٍ عنهُ أوْ مرجِعٍ وَ مُتحدّث بِهِ أوْ خبر، والمُحتوَى القضويُّ: هوَ المعنى الأصليُّ لِلقضيّة، وَتحققه عبر شرط المُحتوَى القضويّ في فِعلِ الوَعدِ مثلًا إذا كان دالًّا على حدثٍ في المُستقبلِ يُلزِمُ بِهِ المُتكلّمُ نفسه، فهوَ فِعلٌ في المُستقبلِ مطلوب مِن المُخاطب.

ب- **التّمهيدي:** وَيَتحقّقُ إذا كان المتحدث مقتدرا على إنجازِ الفِعل.

ت- **تشرِطُ الإخلاص:** وَيَتحقّقُ حين يَكونُ المُتكلّمُ مُخلِصًا في أداءِ الفِعلِ.

ث- **الأساسي:** وَيَتحقّق عند محاولة الباث أنْ يكون مؤثرا في ذهن السّامِعِ كي ينجز الفِعلُ. **وَصنف أوَستن الأفعال الكلاميّة إلى خمسةِ أصنافٍ وَهيَ** (٨):

القراراتُ التّشريعيّة، والمُمارساتُ الشّرعيّةُ، وضُروبُ الاباحةِ، والأوْضاعِ السُّلوكيّة، والمعروضاتِ الموْصوفةُ. إذ طورُ سيْرل هذِهِ الاصنافِ الكلاميّة، وَسأتحدِثُ عنها وَفق تطبيقِها على الِإفعالِ المُباشِرةِ وَغيْرِ المُباشرةِ عبر الجمعِ بيْن التّصنيفيْنِ.

وانِ المُقاربة الِإنجازيّة لِلخطبة تتوَفّرُ عبر شُروطِ المُلائِمةِ في انجازِ الفِعلِ الكلامي، كما ذكرنا أن اوستن سمّاها شُروط المُلائِمةِ وَطوْرُها سيْرلُ وَرأى كُلّ مِنهُما أن الفِعل الكلاميّ يَكون

موَفّقًا وَناجِحًا اذا تحقّقت تِلك الشُّروطُ الانفة. لِذا اعتقد أنّ المُحتوَى القضويّ معناه: إنّ الفِعل الإنجازيّ يَتحتّمُ على المُتكلّمِ وُجودُ قضيّةٍ إنجازية، وَقد كان المُحتوَى القضويّ العامُّ في نظريٍّ: إنّ السّيّدة الكُبرى، ما تُريدُهُ: وَهوَ النّيلُ مِن شأنِ المُبتغين مِن الإسلامِ والمُنتسِبين الى آلِ البيْتِ والمُنتمين إلى أسرةِ الرّسولِ وَهذِهِ مِن أهم القضايا الّتي يؤكّد عليْها الإمامُ الحُسيْنُ عليه السلام في خِطابِهِ السّياسيّ مع أعدائِهِ، وَهيَ مِن اهمّ القضايا في النص المقدس في قوْله تعالى:﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى..﴾ الشورى/ ٢٣؛ امَّا المُحتوَيات القضويّة الفرعيّة فهيَ موْجودةٌ في كثيرٍ مِن أسطُر الخُطبةِ حيْثُ نجِدُ أن يَزيَد(لع) حاوَل التّعتيم الاعلامي، واظهارُ قضيّة الحُسيْن عليه السلام – باعتقادي–على أنَّهم مجموعة من الذين خرجوا على السلطة وتمردوا عليها فقُتلوا ولم يبين حقيقة انتمائهم إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وَكذلِك توْضيحُ الأهدافِ الرّئيسةِ لِلثّورةِ الحُسيْنية، فهذِهِ النّهضةُ لم تكُن مِن أجلِ المصالِحِ الخاصّةِ أوْ الصِّراعاتِ القبليّة، أوْ مِن أجلِ الحِكمِ والسّلطة، أوْ مِن أجلِ المكاسِبِ المادّيّةِ، الى غيْرِ ذلِك مِمّا قد يَتوّهُمُ البعضُ، وَإنّما كانت مِن أجلِ الإصلاحِ، والأمرِ بِالمعروفِ والنّهيِ عن المُنكر، وَمِن أجلِ إقامةِ الحقّ. وكذلك قضية المظلومية للحسين عليه السلام . فالمرأةُ عِندما تُطرحُ قضيّة المظلوميّةِ يَكونُ تأثيرُها أكثر مِن الرّجل؛ لِأنّ المُجتمع يَنظُرُ لها على أنّها كائِنٌ ضعيفٌ رقيق، فيَكونُ لِإبداءِ مظلوميّتِهِ تأثير أكبر في النُّفوسِ.

وَمِن شُروطِ المُلائِمةِ هوَ الشّرطُ التّمهيديُّ وَهوَ ان يَكونُ الباث اوْ المُتلقّي قادِرين على انجازِ الفِعلِ وَذلِك يَكونُ أكثُر وُضوحًا في كلامِ السّيّدةِ الكُبرى زيْنب (عليْها السّلامُ)عِندما توصيَ

المُتلقّي: ((فمهلاً مهلا، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله ﷻ :﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(آل عمران/١٧٨)[٩]، وَكان مِن اهمِ الاحكامِ الّتي أُكّدت عليْها: وَهيَ الّتي وَصفت بِها يَزيد(لع) بِالكُفرِ لِأجلِ هِدايَتِهِ الى تقوَى اللهِ وَمِن الطّبيعيّ ذلِك الا وَهيَ ابنتُ فاطِمة الزّهراءِ (عليْها السّلامُ). بعد ذلِك اثبتّت كُفرهُ مِن عبرِ قوْلِها: ((اللّهُمّ خُذ بِحقنا، وانتقم مِمّن ظلمنا، واحلُل غضبك على من سفك دِماءنا، وَنقِض ذُمارنا، وَقتِل حماتنا، وَهتك عنّا سدولنا... بعد أن تركت عُيون المُسلِمين بِهِ عبرى، وَصُدورهُم عِند ذِكرِهِ حرّى، فتِلك قُلوبُ قاسيَة، وَنُفوسٌ طاغيَة، وَأجسام محشوّة بِسخطِ اللهِ وَلعنةُ الرّسولِ، وَكان على المُتلقّي أيًّا كان لهُ القُدرة على تحقيقِ ذلِك والانتِهاء عمّا فعل والتّوْبة لِلهِ تعالى، وَكانت السّيّدةُ زيْنب لم تتوَقّع مِن المُخاطبِ أن يُعيد تمسُّكهُ بِكِتابِ اللهِ تعالى.

والتّمهيديّ كما أسلفنا أنَّه يَتحقّق، عندما يكون الباث اوْ المُتلقّي قادِرًا على الانجاز للفعل، وَمِثالُ هذا الشّرطِ في كلامِ السّيّدةِ زيْنبُ الكُبرى(عليْها السّلام)، حيْثُ إنّ الِافتِتاح بِبِنيّةِ الِاستِفهامِ هذِهِ يَقودُ المُتلقّيَ إلى استِنتاجِ أنّ هذا الِاستِفهام لا يُرادُ بِهِ الِاستِعلامُ عن أمر، وَبِذلِك يَكونُ فِعلًا مُباشِرًا؛ بل إنّ المُخاطب يَعلمُ مسبقا، من يُناظِرُ، بُغيَة اعطاءِ النّصّ بُعدًا تداوُليًّا وَبِذلِك يُعدُّ الِاستِفهامُ التّقريريُّ سُؤالًا عمّا تعلمُهُ ليُقِرّ لك بِهِ.

واشترط اوَستن ثالثا، وهو الِاخلاصِ عند الباث، فلا يتحدث بما لا يظن وَلا يدعي قدرته على الفعل ما استطاع، وَبِعِبارةٍ اخرى: لابُدّ ان يَكون المُتكلِّم يُريدُ حقًّا ان يُنجِّز الفِعل مِن قبلِهِ اوْ

مِن قِبلِ المُتلقّي، وَذلِك وارِدٌ عِند السّيّدةِ زيْنب الكُبرى. إذ أنّها تعتقِدُ بِالقِرآنِ وَبِالرّسولِ الاكرُم مُحمّدُ خاتم الانبياءِ والمُرسلين كما في قوْلِها في مُستهلِّ خُطبتُها: ((الحمدُ لِلّهِ ربِّ العالمين، والصّلاةُ على جدّي سيّدِ المُرسلين))[١٠]، وَكذلِك اعتِقادُها بِشرفِ آلِ بيْتِ النُّبوّةِ مِن عبرِ نُزولِ الوَحيِ على الرّسولِ الاكرُمِ (صلّى اللهُ عليْهِ وَآل وَسلّم) والقُرانِ.

وَكُلُّ هذِهِ الافكارِ والإعتِقاداتِ الّتي لخّصتها في خُطبتِها مِن خِلالِ الاحتِجاجِ بِاللُّغةِ الفُصحى واساليبِها المُختلِفةِ مِنِ اِستِفهامٍ وَنفيٍ وَقسمٍ وَتعجُّبٍ وَغيْرِ ذلِك مِن الإساليبِ الواردةِ في الخُطبة، فيَترتّبُ عليْها الإنجاز مِن خِلالِ الشّرطِ الرّابِعِ الّذي اكّدهُ سيْرلُ وَهوَ (الشّرطُ الاساسيُّ) وَقد حثت المُتلقّي كثيرًا بِأُسلوبِ السُّؤالِ هيَ الأكثرُ استِعمالًا في المواجهاتِ الإقناعيّة وَأداة المُطارحةِ الكفيلةِ بِمُساءلةِ اعتِقاداتِ الآخرِ واستِجوابِ قناعاتِهِ وَبِذلِك يُعتبرُ السُّؤالُ القيمة المُهيْمنة في السِّجالِ، وَحسبُ (مانويل ماريًا كاريلهو) أن(العقل حركةٍ لِلسُّؤالِ لا تنضب).

وَنلحظُ أنّ سيْرل قام بِتقسُّمِ الإفعالِ الكلاميّةِ الإنجازيّةِ بِبعضِ التّعديلِ على نظريّةِ (اوْستين)، إذ كان التّقسيمُ يَتكوّنُ مِن ثلاثِ اتّجاهات، الاوْلُ: الفِعلُ اللّفظيُّ، والثّاني: الفِعلُ الإنجازي، والثّالِثُ: التّأثيري، وَكانت حُجّةُ التّقسيمِ الجديدِ هوَ عدمُ التّمييزِ فيما بيْن الإفعالِ اللّفظيّةِ والافعالِ الانجازيّةِ. وَيَقولُ سيْرلُ أن نطق الفاظ تُعبّرُ عن معنًى مُعيّنٍ كـ(الوَعدِ في معنى اعتزِم فعل كذا) هوَ اداءٌ لِفِعلِ لفظي معين–كما يَرى أوَستن– وَنُطقُ الفاظ تُعبّرُ عن غرضٍ اِنجازيّ مُعينٍ كـ (الوَعدِ في قوْلي "اعد بِأنّني اعتزِم فعل كذا... وهو اداء لفعل انجازي معين ويلاحظ مما سبق ان الغرض من الفعل

الانجازي هو الوعد كما في المثال الثاني جزء ترادف مع معنى الفعل اللفظي وهو الوعد ايضا في المثال الثاني، اذ فلا يوجد فعلان مختلفان هنا؛ بل اسمان مختلفان لفعل واحد بعينه، ومن ثمّ لم يكن الفصل الذي قدمه أوستن للأفعال شاملا دقيقا بل اعتره التداخل والتشابه[١١]. وَقد رأى سيَرل بِتعديلِ الاقسامِ الّتي قدّمها أوْستن لِلأفعالِ الكلاميّةِ فجعلها أربعة اقسامٍ، ابقى القسّيْمِيْنِ الإنّجازيّ والتّأثيري، لكِنّهُ جعل القسم الاوْل وَهوَ اللّفظيُّ. قِسمين: احِدهُما: النُّطقيُّ: الخاص بجوانب الصوت والنطق والمعجم. والثّاني: الفِعلُ القضويِ، وَهوَ يَشملُ المُرجعِ، والخبر. والثّالِثُ: فعل الانجاز، هوَ دلالةُ النّصّ. والرابع: الفعل التأثيري، ويكون لكل فعل تأثير في السامع يدفعه الى انجاز فعل ما.

حيْثُ توارد المُكوّن المُعجميُّ والنّحويُّ في كلامِ السّيّدةِ (عليْها السّلامُ) مِن الإفعالِ والإسماءِ وَما غلب على النّصّ مِن تجنيس وَهوَ مُحسِنٌ لفظيٌّ احدِث اثرًا جُماليًّا نابِعًا مِن تكرارِ الإلفاظِ على نسقٍ تعبيريّ يُتّخذُ مِن تكرارِها اساسًا لا حداث موسيقي خِلابٍ وَهذا ما نجِدُهُ في قوْلِها: (خطرك، وقدرك)، (أنفكُ، وعطفك)، (صدريك، ومذرويك)، وَهذا مِن الجِناسِ غيْر التّامّ وَهوَ مِن المُحسّناتِ اللّفظيّةِ، فكان التّناغُمُ بيْن الفاءِ والكافِ مِن جانبٍ وَفي كلِمتيْنِ اِخريّتيْن الياءِ والكافِ مِن جانبٍ اِخر وَمِن ثمّ المجيئ لِلألفاظِ المُتتابِعة قد احدث تشاكُلًا في اللّفظِ وَتقاربا في المعنى، وَكذلِك النِّداءُ والاستفهام فكانت نغماتٌ هابِطةٌ وَصاعِدةٌ اضفت قوّة لِلمعنى وَجمالٌ لِلألفاظِ. امَّا الفِعل القضويّ فهوَ الظُّلمُ الّذي عاشهُ آل بيْت رسولِ اللهِ بعد ملحمة الطف، وَكان مُؤدّى الإفعالِ القضويّةِ بِإنجازِ الإستِفهامِ (أظننت)؟ والنِّداءُ (يا يَزيد). امّا الفِعل التّأثيريّ فيَبقى رهينُ المُتلقّي.

لقد فرّق أوَستن بيْن الأفعالِ اللّفظيّةِ والأفعالِ الانجازية، وَفرّق بيْن الصّريحةِ والأوّليّة، ثُمّ تبعه سيْرل بخُطوَة مُهِمّةً، فميّز بيْن الأفعالِ المُباشِرة، والأفعالِ غيْرِ المُباشِرة، أوْ الحرفيّةِ وَغيْرِ الحرفيّةِ أوْ الثّانويّةِ والأوّليّةِ وَأكثرِ المُصطلحاتِ تداوُلًا عِندهُ هما " المُباشرةُ " وَ "غيْر المُباشِر".

تطور النظريَّة عند جون سيرل:

١- **أفعالُ الكلامِ المُباشِرةِ:** أفعالٌ يُتلفّظُ بِها الباثُّ لِلخِطابِ وَهوَ يَعني ما يَقولُ، وَيرى أن يُنتِج أثرًا منجزا على المُرسلِ إليْهِ، وكذلك يعتقد أن يُنتِج هذا الأثر عبر جعل المتلقي يُتدارك المقصد في الإنتاجِ، إذ تُطابِقُ قوّتُها الانّجازيّة ما يريده الباث للكلمات[١٢]. عبر ((النُّطق بِبعضِ الإلفاظِ والكلِماتِ؛ أيْ احداث أصواتٍ على انحاءٍ مخصوصةٍ))[١٣].

٢- **أمّا غيْرُ المُباشرةِ:** وَيَقصِدُ بِها: الأفعال((التي تُخالِفُ فيها قوّتها الإنّجازيّة مُرادُ المُتكلمِ. فالفِعلُ الإنجازيُّ يُؤدّى على نحوِ غيْرِ مُباشِرٍ مِن خِلالِ فِعلٍ إنجازيٍّ آخر))[١٤]، كقوْلِنا: (هل تناوَلني الملح؟ أثناء جُلوسِنا على المائِدة.)، معناهُ الحرفيّ هوَ: الإستِفهام، وَهوَ يُمثِّلُ فِعلًا انجازيًّا غيْر مُباشِر، إذ لايَنتظِرُ السّامِعُ الإجابة بِالموافقةِ أوِ الرّفض؛ بل مرادك أن تطلُب مِنهُ طلبًا مُهذّبًا أن يُناوِلك المُلح.

تصنيف الأفعال عند سيرل وأوستن وعبر تطبقها على خطبة السيدة الكبرى:

تقسيمُ جوْنِ سيَرل بِبعضِ التّعديلِ على النّظريّةِ:

١.**التّأكيدات:** اتِّجاهُ المُطابقةِ في الغرضِ الإخباريّ أوِ التّقريريّ هوَ مِن القوْلِ إلى العالمِ وَلا يوجدُ شرطٌ لِلمُحتوَى القضويّ في الإخباريّاتِ لِأنّ كُلّ قضيّةٍ يُمكِنُ تشكيلها مُحتوًى اخباري، وَأفعالُه تحتمِلُ الصِّدق والكذب. ففي خِطابِها– أقصِدُ السّيِّدة زيْنب (ع)– الحجّاجيّ تعدّدت مواطِنُ الِاستِفهامِ بيْن ((الِانفِتاح)) و((المواجِهة))، و((المُدافعة)).

وَإنّ الِافتِتاح بِبِنيّةِ الِاستِفهامِ هذِهِ يَقودُ المُتلقّي الى استِنتاجٍ: انّ هذا الِاستِفهام لا يُرادُ بِهِ الِاستِعلام عن أمرٍ، بل انّ المُخاطب يَعلمُ مسبقا، من يُناظِرُ، وَبِذلِك يُعدُّ استِفهامًا تقريريا، والتّقرير(يكون سُؤالًا عمّا تعلمُهُ ليُقِرّ لك به)، وَهوَ فِعلٌ كلامي مُباشِرٍ، وَكذلِك كانت استِراتيجيّاتُ الخِطابِ عِند السّيِّدةِ زيْنب هوَ اقناعُ المُتلقّي مِن خِلالِ السُّؤالِ المُتكرّر [١٥].

٢–**التّوْجيهاتُ:** فالمُطابقةِ في هذ الغرضِ التّوْجيهيّ يَكونُ مِن العالِمِ إلى القوْلِ، والمخاطب هو المسؤول، والشّرطُ العامُّ لِلمُحتوَى القضويّ، هوَ أن يُعبّر عن فِعلٍ مُستقبِلٍ لِلمُخاطبِ وَقُدرته على انجازِ ما طلِب منه. وضمن هذا: الِاستِفهام، والامر، والرّجاء، والاستِعطاف، والتّشجيعِ، والنُّصح، والتّحذير، وَغيْرُها[١٦].

وَأعتقِدُ أنّ فـي الخُطبـةِ بعـض أفعـالِ المُمارسـاتِ الشّـرعيّةِ (الطّلبيّـات). وَكالتّـالي: الأمـر، والنّهي، والدُّعاء: والفرقُ بيْنهُم: ((أنّ الأمر طلبٌ لِلفِعل، وَكذلِك النّهيُ طلبٌ لِلإنتِهاءِ عن الفِعل، فجاز لِهذِهِ العِلّةِ، وَإن أنصل بِأنّ الأمر فيهِ ترغيبٌ في الفِعل، والنّهيُ تحذيرٌ مِن الفِعل، وَلـيْس ذلِك فـي معنـى الدُّعاءِ، إلّا أنّـهُ طلبٌ لِلفِعلِ يَطلُبُهُ الدّاعيَ مِن غيْرِهِ))[١٧]، إذ إنّ فـي الامرِ ترغيبًا فـي الفِعل، وَزجرًا عن تركِهِ، وَلـهُ صـيغةٌ تُنبِـئُ عنـهُ، وَلـيْس كذلِك الدُّعاءُ، وَكِلاهُما طلبِ. وَأيْضًـا فإنّ الامر يَقتضي أن يَكون المأمورُ دون الامرِ في الرُّتبة، والدُّعاءُ يَقتضي أن يَكون فوْقهُ[١٨].

وَقـد كانـتِ السّـيّدةُ الكُبـرى ذات بصـيرةٍ عاليَـةٍ، عبـر فهمِهـا أيْـدُيولوجيًّا الجـدل بِشـأنِ دوْرِهـا الخطّابيّ في تفعيلِ سُلطةِ أخيها وَإضفاء الشّرعيّةِ عليْها؛ فالسُّلطةُ تُنتِجُ الواقِع كما عبّر عنها (مشيلٌ فوَكو)[١٩].

أولًا: الأمر، والنَّهي، والدُّعاء:

١- **الأمر:** ويستخدم الأمر بصيغ مختلفة، وكالتالي:

أ- **بِصيغةِ الأمرِ (أفعلُ):**

- احلُل غضبك على من سفك دِماءنا.
- انتقم مِن ظالِمِنا.
- كد كيَدِك.
- اجهد جهدك.

ب- اسم فِعل الأمر:

- حسبُك بِاللهِ وَليًّا وَحاكِما.

ت- بِالمصدرِ النّائِب عن فِعلِهِ:

- مهلًا مهلا لا تطش جهلا.
- عتوا مِنك على الله.
- -جُحودا لِرسولِ الله.

٢- أمّا النّهي: فأمثِلتُهُ:

- لا تطِش جهلّا.
- فلا يَستفزنك الفرحُ بِقتلِهِم.
- لا تُدرِك أمدنا.
- ولا تبلغ غايتنا.
- وَلا تمحو ذكرنا.
- وَلا يُرحض عنك عارنا.

٣- أمّا الدُّعاء: فالأمثِلةُ عليْهِ:

- شلت بِك عن مِرفقِها وَجدت.
- اللّهُمّ خُذ بِحقّنا.
- نسألُهُ أن يُكمِل لهُم الأجر.
- وَيَجُزّ لهُم الثّوابُ والذّخر.
- وَنسألهُ حُسن الخلاقةِ.
- وَجميل الإنابة.

والغرضُ الإنجازيُّ المُباشِر هو التّوْجيهُ عبر(الأمر، والنّهي، والدُّعاء)، إذ يُحاوَلُ الباثُّ حث المتلقي الِى فِعل مستقبلي؛ واتِّجاهِه فيها مِن العالِمِ الى الكلِماتِ، وَشرطُه أن يكون مخلصا هو

الإرادةُ والرّغبةُ الصّادِقةُ، فإصدارُ قرارِ السّيّدةِ الكُبرى كان سببًا لِسريانِ تصرُّف يَزيد (لـع) إذِ اتّخذت قرار تأنيبِهِ بِهذِهِ العِباراتِ الّتي تُقابِلُ الحُكم التّشريعيّ[٢٠].

ثانيا: الاستفهام:

يُعدُّ فِعلًا كلاميًّا يُؤثِّرُ في الباثِ، إذ يَحوي على فِعلٍ أوْ تركٍ، أوْ دعوَةٍ لِلِاعتِرافِ بِمُمارسةٍ تشريعيّةٍ توْجيهيَةٍ، وَيَشملُ: السُّؤال، والِاستِعلام، والِاستِخبار... وَهلُمّ جِرا. والِامثِلةُ عليْهِ:

- أظننت يا يَزيدُ حين أخذت عليْنا أقطار الأرضِ وَضيّقت عليْنا آفاق السّماءِ؟
- أمن العدلِ يَأبنُ الطُّلقاء تخديرك حرائِرُك وَإماءكُ، وَسوقك بنات رسولِ اللهِ سبايا؟
- أنّى يُرتجى مُراقبةٌ مِن لفظِ فوه أكباد الشُّهداء، وَنبتُ لحمه بِدِماءِ السُّعداءِ؟ أيّكم شرٌ مكانا وأضلّ سبيلا؟
- وهل رأيك إلاَّ فند؟

٣- **الوُعديّاتِ**: فالمُطابقةِ في الغرضِ الإلتزامي يَكونُ مِن العالِمِ إلى القوْلِ والمسؤولُ هوَ المُتكلّمُ، والشّرطُ العامُّ لِلمُحتوَى القضويّ هوَ تمثُّلُ فِعلًا مُستقبِلًا للباث وَقُدرة المُتكلّم على أداءِ ما يُلزمُه[٢١].

أقولُ: غرضُها التِزامُ المُتكلّمِ بِالقيامِ بِإنجازِ عملٍ مُعيّنٍ في الزّمانِ المُستقبِل، والمُتكلّمُ هوَ الّذي يُلزِمُ نفسهُ وَيَتعهّدُ بِذلِك. فلا وُجود لِلمُخاطبِ وَإنّما يوَجّهُ المُتكلّمُ خِطابهُ لِنفسه، وَهذا هوَ الفرقُ بيْنها وَبيْن التّوْجيهاتِ الّتي تكونُ موَجّهةً الِى المُخاطِبِ، وامثلتها: النّذر، والقسم، والوَعد، والتّهديد. وبعض ما ورد في خطبة السيدة الكبرى:

((فلئِن اتّخذتنا مغنما، لتجِدنّا وَشيَكًا مغرمًا))[٢٢]. إذْ إنَّ الفِعْلَ الكَلَامِيّ المُنَجَّز فِي هَذَا النَّص" لَتَجِدْنَا". وَفِعْل القَوْلِ الَّذِي يَنْقَسِمُ الِى فِعْل نِطْقِي: "تَجِدْنَا". وَفِعَل قَضَوِيٌّ بِشِقِيه: المُرْجِع: "يَزِيد(لُع): وَالخَبْر: "الرَّغْبَةُ فِي كَشْفِ زَيْغِ يَزِيد وَجَبَرُوتِه". وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا الفِعْل يَدْخُلُ فِي صِنْفِ الِالتِزَامِيَّاتِ، فَالفِعْلُ الكَلَامِيُّ المُبَاشِرُ دَالٌّ عَلَى القُسْم. أَمَّا غَيْرُ المُبَاشِرِ فَغَرَضُهُ التَّهَكُّمُ وَالتَّبْكِيَتَ. إذْ

أَنَّ قولها: ((لَئِنْ اتَّخَذَتَنَا مَغْنَمًا)) كَانَ جَوَابُه: ((لِتَجِدَنَا وَشِيكًا مَغْرَمًا)). وَالمَغْرَم: الغُرْم: وَهُوَ نُزُولُ نَائِبَةٍ مِنْ المَالِ مِنْ غَيْرِ خِيَانَة، وَأَصْلُهُ لُزُومُ الأَمْرِ(٢٣).

٤-**التّعبيراتِ:** واتِّجاهُ المُطابقةِ في الغرضِ التّعبيريّ هوَ الاِتّجاهُ الفارِغُ وَليْس هُناك شرطٌ عامٌّ مُحدّد لِلمُحتوَى القضويّ في التّعبيريّات، والقضايا الّتي تتضمّنها البوحيّات: ترتبِطُ بِالمُتكلّمِ أوْ المُخاطب. وَلذا أعتقِدُ أنّ التّعبيراتِ هيَ افصاحاتٌ غرضها الانجازيّ التّعبيرُ عن موْقِفٍ نفسي، فلا يُحاوِلُ المُتكلّمُ التّأثير بِالعالم، وانما يُحاوِلُ التّعبير عن شُعورٍ يَعتريهِ، وَيُعبّرُ عنه... مِثلُ: (أهنئِكُ، وَأُشكِرُكُ، والاِعتِذارُ، والتّرحيبُ، والتّعزيَة). مِثالُ ذلك: ((وَقيل: أنّ فاطِمة بِنت الحُسيْنِ كانت وَضيئة الوَجه، وَكانت جالِسةً بيْن النّساء، فقام إلى يَزيد رجُل مِن أهلِ الشّامِ أحمر فقال: يا أمير المُؤمِنين هب لي هذِهِ الجاريَة! يَعني: فاطِمة بِنت الحُسيْنِ. فأخذت بِثيابِ عمّتِها زيْنب بِنت عليّ بنِ أبي طالِبٍ (عليْهِما السّلامُ) فقالت: ((أوتم وَأستخدِم))؟!فقالت زيْنبُ لِلشّامي:((كذبت وَلُؤمت، واللهِ ما ذاكِ لك وَلا له)). فغضِب يَزيدُ ثُمّ قال: ((إنّ ذلِك لي وَلوْ شِئتُ أن أفعل لفعلت))(٢٤)، وَكان المقصودُ مِن العِبارةِ ((فغضِب يَزيد)) أنّهُ استشاف غضبا، وَلِتعديلِ القوّةِ الحرفيّةِ ، أُستُعمِل في السّياقِ (لوْ شِئت أفعل) مِن قِبلِ الطّاغيَةِ يَزيْدُ(لع). أمّا غيْر الحرفيّةِ في العِبارةِ ((إنّ ذلِك لي، وَلوْ شِئتُ أن أفعل لفعلت))، فغرضُها التّحدي، والسّياقُ المُقاميُّ الّذي وَرد في الفِعليْن(كذبت، وَلُؤمت)، فيهِما فِعلُ كلامي غيْر مُباشِرٍ دالّ على التّوْبيخِ.

٥- **الإعلانـات:** واتِّجاهُ المُطابقةِ في الغرضِ الإعلانيِّ قد يَكونُ مِن القوْلِ إلى العالمِ أوْ العكسِ. أيْ: الاِتِّجاهِ المُزدوِج وَلا يَحتاجُ إلى شروط إذ يَكفي انجازُها بِنجاحٍ لِتحقيقِ المُطابقةِ. مِثالُ ذلك: ((فقال يَزيدُ: إنّما خرج مِن الدّيْنِ أبوك، وَأخوك)) [٢٥].

وَردّ في العِبارةِ فِعلًا كلاميًّا اعلانيًّا ايْقاعيًّا واضِحا، وَكانتِ المُطابقةُ مِن الكلِماتِ الِى العالِمِ، وَغرضُهُ الاِنجازيُّ غيْرُ المُباشِرِ التّصريحُ أوِ الحِكم... أمّا الفِعلُ الكلاميُّ المُباشِرُ إذ خرج يزيد(لع) الإمام الحُسيَن(عِليْهِ السّلام) مِن دينِهِ الذي يَدينُ بِه.

الهوامش والمصادر:

(١) ينظر: المقاربة التداولية : فرانسواو أرمبكو، مركز الانهاء القومي، ترجمة: سعيد علوش، ص٧-١٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة: إبراهيم خليل، دار المسيرة، ط١ ،١٤٩١هـ - ٢١١١م. ، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣) ينظر: المقاربة التداولية، التداولية تأليف فرانسواز ارميتكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الانماء القومي١٩٨٦ ص٨.

(٤) المصدر السابق: ص٨.

(٥) ينظر: افاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود احمد نحلة ، مكتبة الآداب، القاهرة: ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م، ص ٦١.

(٦) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام):أوستن، أفريقيا الشرق، ص١١٥-ص١٢٨.

(٧) ينظر: نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، الدكتور: العيد جولي، جامعة قاصدي مراح، ورقلة (الجزائر) مجلة الامر ص ٥٧.

(٨) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام): ١٧٤-١٨٩.

(٩)) الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي، انتشارات الشريف الرضي، ط١، ج٢/ص٣١.

(١٠)) المصدر السابق: ج٢/ ص٣١.

(١١) ينظر: الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود حجي الصراف، مصر، ط١، تاريخ النشر: ١٤٣١م-٢٠١٠م، ص٥٤.

(١٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، لبنان، ط١، ص ١٢٥.

(١٣) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام): ١١٦.

(١٤) نقلا عن: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجديدة، مصر، ٢٠٠٢م، ص٨١.

(١٥) المصدر السايق:ج٢/٣١.

(١٦) ينظر: المقاربة التداولية: فرانسواو أرميكو، ترجمة: سعيد علوش، مركز الانماء القومي: ص٦٦.

(١٧) شرح كتاب سيبويه : علي بن عيسى الرماني أبو الحسن، سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص٧٩٥.

(١٨) ينظر: معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ط١، ١٤١٢هـ، ص ٢٣١.

(١٩) ينظر: الخطاب والسلطة، توين فان دايك، ترجمة: غيداء العلي، مراجعة: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص٨٩.

(٢٠) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام): ص١١٧.

(٢١) ينظر: المصدر السابق: ١٨٠.

(٢٢) الاحتجاج: ٢/٣٣.

(٢٣) ينظر: تفسير مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، لبنان- بيروت، ط١، ج٥، ص٨٤.

(٢٤) الاحتجاج: ج٢ ص ٣٣.

(٢٥) المصدر السابق: ج٢ ص ٣٤.